فمن هؤلاء أبو قيس صِرْمَة بن أبي أنس من بني عديّ بن النّجّار ، وكان في الجاهليّة من المُتَحنّفين ، ويذكر أنه ترهّب واتخذ متعبّداً له وفارق الأوثان ، وتُروى عنه أشعارٌ قالها يَحُضُّ فيها على الخير والتّقوى وأعمال البرّ ، فلما قِدمَ رسول الله ﷺ المدينة أسلم وحسُن إسلامه . وكان مما قاله قصيدةً يذكر فيها ما أكرمهم الله به من نعمة الإسلام ، وما خصّهم الله به من نزول الرّسول عليهم ، ويستوقف النّظر في هذه القصيدة ما تتّسِمُ به من طابع قَصَصيّ ، كأنه أراد أن يؤرّخ لدعوة الإسلام :[1]

ثَوَى في قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجّةً ... يُذَكّرُ لَوْ يَلْقَى صَديقاً مُوَاتِيا
ويَعْرِضُ في أهْلِ المَوَاسِمِ نَفْسَهُ ... فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤوِي ولم يَرَ داعِيا
فَلمّا أتَانا أظْهَرَ اللّهُ دِينَهُ ... فَأصْبَحَ مَسْرُوراً بِطَيْبَةَ راضِيا
وألْفَى صَدِيقاً واطْمَأنّتْ بِهِ النّوَى ... وكانَ له عَوْناً مِنَ اللّه بادِيا
يَقُصُّ لَنَا ما قالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ ... وما قالَ مُوسَى إذْ أجابَ المُنَادِيا
فأصْبَحَ لا يَخْشَى مِنَ الناس وَاحِداً ... قَرِيباً ولا يَخْشَى مِنَ الناس نائِيَا
بَذَلْنَا لَهُ الأمْوالَ من حِلِّ مالِنا ... وأنْفُسَنا عِنْدَ الوَغَى والتّآسِيا
نُعَادِي الذي عادَى مِنَ الناس كُلّهمْ ... جَميعاً وإنْ كانَ الحبيبَ المُصَافِيا
فَطَأْ مُعْرِضاً إنّ الحُتُوفَ كثيرةٌ ... وإنّكَ لا تُبْقِي لِنَفْسِكَ باقِيا
فَوَاللّهِ ما يَدْرِي الفَتَى كَيْفَ يَتّقِي ... إذا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللّهُ واقِيا

وهناك طائفةٌ من الشُّعراء عادَوُا الإسلام ، بل هجوا الرّسول ﷺ هجاءً

(١) القصيدة كاملة في سيرة ابن هشام ، ج ١ ، ص ٥١٢ ؛ والاكتفا ، ج ١ ، ص ٤٦٧ ؛ وتاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ . ثوى : أقام واستقرّ ، والحِجّة : السّنة ، والمُواتي : الطائع ، وطَيْبة : المدينة ، وكان اسمها يثرب ، والتّرْبُ هو الفساد ؛ فنهى الرسول ﷺ عن أن تُسَمّى يثرب ، وسمّاها طابَة وطَيْبَة، بمعنى الطّيب، وألفى : وجد ، والنّوى : الدار ، واطمأنّت به النّوى : أقام، والوَغَى : الحرب ، والتّآسي في المال : أن تعطي شخصاً منه ، أو تجعله مساويا لك فيه ، وفي المصائب : التّسْلية والتّعْزية ، والحُتوف: جمع حَتْف ، وهو الهلاك .